كان وقبائلها «25»

محمد القعود
Kood500@hotmail.com

كان الأرق
يدخّن بشراهة مستفزّة، ويضجّ من السكون،
يشكو من حموضة الليل والوقت العاطل،
ومن منغّصات الحياة، وأبناء الغدر
وسلالات النوايا السيئة،
ومن التعابير التي تخون حالاته
وتأوّل ما لا يقول،
وتفشي للفراغ بأسرار عجزه عن الصهيل.

كان الأرق
يشكو من الصمت الذي يفرقع أصابعه
وينقر على طاولة الطمأنينة
بنقرات مريبة تستخف بمشاعره الرهيفة،
ولا يبالي بحرمة وقاره.

كان الأرق
يتذمّر من وحشة الزوايا
وشخير أسئلته الذابلة،
ويكتم غيظه المتصاعد
من تحرّش ملابس فاتنته المنثورة
في أرجاء الغرفة الباردة.

كان الأرق
يقضم أظافره الطويلة،
ويتفرّس في ظلمة المعاني
وأعماق البشر وترسباتها المتعددة،
ويحاول تفسير ما تحته من متاهة
أو ضباب يجول دون وجهة محددة.

كان الأرق
يحكّ أنفه ويفكّر بجولة طارئة
في الشوارع المثقلة بالغرابة
والجلوس على رصيف مسالم
وانتظار حافلة تمر إلى المجهول،
أو إلى إغفاءة شاردة.

كان التأمّل
يكثر من ارتشاف قهوته المرّة
ويحدّق بعمق في البعيد..
يرمي بشروده في بحيرة الحياة
ويتابع دوائر المجهول المتلاحقة.

كان التأمّل
يُفرد الآفاق بين يديه
ويتقرّأ صفحاتها المطوية،
يقلّب الأيام ويفتّش جيوبها المرقّعة
بحثاً عن حقائق عانسة
لم تمسّها أصابع المواسم.

كان التأمّل
يمنح حيرته إجازة طويلة
ويتفرغ لقراءة محيطه الملوّث
بالنوايا الملوّنة،
ويُصاب بحالة هستيرية
عندما يجد أن كل الطرق
تؤدي إما إلى الجنون
وإما إلى الجنون.

كان الجنرال x
يتّهم المدافع بخدش حياء المدينة
والتحرّش بأحلام الصبايا المؤجّلة..
يزعم أن مدفعاً طائشاً
اغتصب بهجة الربيع
بصورة مخالفة للأعراف والتقاليد،
وأن مدفعاً مراهقاً
تلصّص على امرأة
ترقص مع جنونها
وعلى أخرى تستحم تحت المطر،
وأن مدفعاً كهلاً
اقتحم مخبأ الظباء
وعاث بغرفة الأرصدة فساداً،
وأن مدفعاً متصابياً
هتك عرض المدينة بقبلة ساخنة،
وأن مدفعاً مخضرماً
جال بكامل عُريه في الأسواق
وصافح معجبيه
دونما مراعاة لشعور الصلعان
العاطلين عن العمل،
أو احتراماً للتقاليد المتوارثة.

كان الجنرال x
يغار من المدافع المتبخّترة،
ويتّهمها بنشر الأخلاق الفاسدة،
ويبحث مع أعوانه
عن سر فتوّتها، ونظام غذائها،
وهل تستخدم وصفات شعبية
لإطلاق باءتها نحو أهدافها العشوائية.

كان الجنرال x
يحلم بمدافع طيّعة
تنام في وقت مبكر،
وتترك له مهمة إطلاق القذائف
نحو الفرائس المختبئة.

كان هولاكو
يصبغ شعره بلون الدمار
ويلبس زيّه المرقّط بفجائع الأطفال،
يعتمر قبّعة تفكّر جيداً في الخراب
ويحتزم بمسدس سريع الفوضى،
ويمنح نفسه صفات مهيبة :
– قائداً لقوات الغبار
– أركان حرب الظلام
– أميراً للمؤمنين في قارّة واق الواق
– مخططاً استراتيجياً للسراب
– زعيماً لقبيلة الهنود الحمر
– ناطقاً رسمياً باسم الشيطان
– خطيباً ليوم جمعة باللغة الهيروغليفية – اللاتينية
– مطرباً وطنياً لفريق مراهقات غابة الأمازون
– عارضاً لأزياء الريح المجوقلة

كان هولاكو
يتبغبغ في كل حارة
ويهدي أناشيده التعيسة
لكل لقطاء الشوارع
ومجهولي الهويات القومية
ويمنحهم وجبة من الحماسة
وجرعة من غيبوبة الوعي
ويعدهم عقب بطولة دوري الخيانة
بحفلة صاخبة في شارع الشانزليزيه
وبحفنة من الفراغ.

كان هولاكو
يتسلّل من ماضيه الغامق
ويتجوّل في المدينة باسم مستعار،
يلتقط الشائعات المهملة،
ويدوّن في ذاكرته
تليفونات الصيدليات المناوبة..
يحلم بجلسة مريحة فوق الغيوم
ومداعبة خزائن البنوك
والسيطرة على أطراف الخريطة.

كان السرير
يفتح أحضانه لنزواتها الجامحة
ويتحمّل بشغف لذيذ
جميع صولاتها العنيفة،
ويتمتّع كثيراً بمعاركها الخيالية
ويتبلّل بأمطارها الغزيرة
ويحترق عقب كل صولة
ببروقها المتلاحقة
وصهيلها الذي لا يكف
عن اختراق المدى.

كان السرير
يستعيد عافيته كل صباح
ويبارك لأعمدته الخشبية
عودتها إلى الغابة
واخضرار فتوّتها اليابسة.

– نادلاً في معرض الأسلحة المستقبلية
– مرافقاً ناعماً لراقصة الشرق الكسيحة
– حارساً لمرمى النيران الصديقة
– مخرجاً شهيراً لأفلام الديناصورات المنقرضة
– محامياً محترفاً لضحايا «البورنو»
– تاجراً لامعاً لتسويق الأوهام
– ملكاً محتكراً لأسواق ترويج الزيف
– بطلاً خارقاً للكائنات الورقية
– وسيماً لامعاً في مهرجانات الأناقة
– عربيداً عريقاً في حانة الحنان المفقود.

■ مقاطع من نص طويل

إصدارات ثقافية

همومي الجميلة

همومي الجميلة هو الاسم الذي أطلقه المخرج الفرنسي جان لوك غودار على المونتاج في إحدى مقالاته التي نشرها في مجلة ثقافة الفيلم ستينيات القرن العشرين وهو الاسم الذي انتقاه مروان عكاوي في حديثه عن المونتاج بكتابه الصادر عن المؤسسة العامة للسينما بدمشق ضمن سلسلة الفن السابع.

ويرفق الكاتب العنوان بمقولة نظرة أخرى على المونتاج الذي يتحدث عنه في مقدمة منجزه قائلا:يسألني الكثيرون من معارف وأصدقاء من خارج الوسط الفني عن معنى كلمة مونتاج أو كما تعرب بكلمة توليف وما هي هذه المهنة العجيبة التي لا يعرفون كنهها وفي مرات يتبرع أحدهم بالإجابة نتيجة لصمتي المتعمد أو نتيجة لسؤالي المرتد أنتم ماذا تظنون يحتد النقاش وتتباين الآراء وتعلو الأصوات وتتقدم الحجج والبراهين وتبرز الشهادات والروايات ولكن السؤال يبقى دون إجابة صحيحة فلا أحد منهم يعرف حقيقة المونتاج رغم أن معظم ما قالوه عنه صحيح بشكل أو بآخر.

يحاول عكاوي أن يوجز معظم تجربته وخبرته المكتسبة على مدى ما يقارب الخمسين عاما في مجال الفن السابع كما يحاول أن يضمنه معظم الإجابات التي كان يقولها ويشرحها لأصدقائه وبعض المحاضرات المتفرقة التي ألقاها هنا وهناك في مدن العالم وكذلك بعض آراء وكتابات من سبقوه.

ويضمن الكاتب فحوى بعض النقاشات التي كانت تدور بينه وبين زملائه في المهنة ويحاول إلقاء الضوء على بعض أسرار هذه المهنة الغامضة في إطار توثيقي وتعليمي على اعتبار أنه فن يتطور جيلاً بعد جيل وتزداد أهميته في السينما بشكل عام.

ويشرح عكاوي مجموعة من المصطلحات والمفاهيم التي تحويها هذه المهنة من مثل القطع والوصل القطع في الحياة اليومية لماذا نقطع الرسائل/ اللغة/ أنواع التوليف/ القواعد التي تحدد آليات القطع/ أجهزة المونتاج وأنواعها/ المونتاج الالكتروني/ أثر المونتاج الرقمي على الإيقاع/ السينما الرقمية وغيرها.

ويختتم الكتاب بمجموعة من الصور التي تستعرض أهم الأفلام التي عمل عكاوي بمونتاجها وهي من خيرة ما قدمته السينما السورية عبر تاريخها مثل الفهد وبقايا صور مع نبيل المالح رجال تحت الشمس /حبيبتي يا حب التوت/ إضافة إلى صور لبعض الأفلام التي أخرجها عكاوي مثل/ زواج على الطريقة المحلية/عندما تغيب الزوجات/ امبراطورية غوار/ عشاق/ سورية بين القديم والحديث.

يذكر أن مروان عكاوي من الرواد الأوائل للفن السابع في سورية حيث بدأ بممارسة هذا الفن من خلال عمله كمساعد مع الراحل جوزيف فهده وكان من أول المنتسبين إلى مؤسسة السينما وهناك اكتشف موهبته في أعمال المونتاج حيث احترف هذه المهنة وبات من أهم العاملين في مونتاج الافلام في سورية حيث عمل كرئيس لقسم المونتاج في مؤسسة السينما وانتخب عضواً في لجنة تحكيم مهرجان مونتي كارلو الدولي وكرم في مهرجان لايبزيغ في المانيا وفي مهرجان دمشق السينمائي.

«وحدة تاريخ مصر»

«وحدة تاريخ مصر» هو عنوان الكتاب الصادر حديثا عن الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ضمن سلسلة «الثورة .. والحرية» للكاتب محمد العزب موسى.

الكتاب الذي يقع في ٢٤٦ صفحة هو بمثابة محاولة للبحث عن خيط عام يربط بين مراحل التاريخ المصري ويبرهن على انه تاريخ شعب واحد لا شعوب متعددة مما قد يوحى إلى البعض بأن مصر كانت مجتمعا مغلقا منذ أبعد العصور وأنها تطورت تطورا ذاتيا وهذا خطأ واضح، ويشير مؤلف الكتاب إلى أنه ليس هناك حد للتأثيرات المتبادلة بين مصر والعالم الخارجي في مختلف العصور بالرغم من عزلة مصر النسبية نتيجة للعامل الجغرافي المعروف، ويوضح أنه لا يمكن نزع مصر من قلب التطور الحضاري العالمي طليلة خمسة آلاف عام على الأقل.

ويؤكد المؤلف على أنه ليس الهدف من هذا الكتاب هو الفصل الشوفيني بين مصر والخارج وإنما محاولة فهم العلاقة بينهما والبحث عن رابطة بين العصور المصرية في نطاق المراحل المختلفة للتاريخ العالمي أو بكلمة أخرى بدون التقليل من أهمية التطورات الكبرى التي حدثت في مصر نتيجة العوامل الخارجية ومن أهمها اندماج مصر في الهللينية والمسيحية والإسلام والعروبة والانفتاح على الحضارة الغربية الحديثة نحاول أن نعرف هل حدثت هذه التطورات في مصر واحدة أم أمصار متعددة؟

ويقول المؤلف إن هناك أسبابا رئيسية أدت إلى انقطاع نفسي بين المصريين وتاريخهم أولها الصراع بين المسيحية والوثنية في العصر القبطي وما أدى إليه من انفصام وجدان المصريين الأقباط عن تاريخ أجدادهم المباشرين والسبب الثاني هو موجه العالمية التي شارك فيها المصريون خلال ثلاث حقب متوالية هي الهللينية والمسيحية والإسلام، وقد أدت هذه الموجه إلى القضاء تماما على فكرة القومية إذ لم يكن المهم هو الانتماء إلى وطن وإنما المهم والمقياس في كل شئ هو الانتماء إلى العقيدة والدين والسبب الثالث هو تعريب مصر ودخولها نهائيا في حوزة العروبة والإسلام مما أعطاها مقومات جديدة من لغة وعقيدة وانتماء قومي وحضاري.

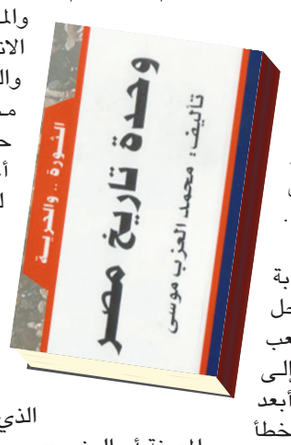

والسبب الرابع المحن التي تعرض لها المصريون في مختلف مراحل تاريخهم والتي مرغتهم أحيانا في ظلام الجهل الدامس الذي لا يبين فيه شعاع واحد من المعرفة أو الوضوح.

ويحاول الكاتب أن يجد علاقة بين القومية والتاريخ بما يعنى أن قوميتنا عربية وتاريخنا مصري وعقيدتنا إسلامية وليس هناك تناقض بين العناصر الثلاثة.

ويحوى الكتاب ثلاثة أقسام وهى استمرارية أم انقطاع، عروبة مصر وبين الوطنية والقومية، وفى القسم الأول يضم خمسة فصول وهى نظرة في أعماق التاريخ، وأسباب الانقطاع النفسي، والبحث عن الخيط عام، ورواسب الفولكلور، والاستمرارية الجنسية في حين يضم القسم الثاني خمسة فصول أيضا وهى علاقات قديمة ، مصر ترحب بالفتح العربي، تعريب مصر، دماء جديدة، شخصية مصر الإسلامية والقسم الثالث يتناول فصل واحد فقط عن مصر والأبعاد الثلاثة.

ملحمة ظاهر العُمَر

بيروت ـ تعد الرواية الجديدة للشاعر والروائي إبراهيم نصرالله «قناديل ملك الجليل» الرواية السابعة في مشروعه الروائي (الملهاة الفلسطينية) إلى جانب زمن الخيول البيضاء، طفل المحاة، طيور الحذر، زيتون الشوارع، أعراس آمنة، وتحت شمس الضحى.

وبصدور هذه الرواية تكون الملهاة الفلسطينية قد غطت مساحة زمنية روحية ووطنية وإنسانية على مدى ٢٥٠ عاما من تاريخ فلسطين الحديث.

تقع الرواية الجديدة في ٥٥٥ صفحة، وجاء في تقديم الناشرين (الدار العربية للعلوم – ناشرون في بيروت، ودار مكتبة كل شيء في فلسطين): «قناديل ملك الجليل» رواية تأسيسية، لا على صعيد الكتابة الروائية التي ترتحل بعيدا في الزمن الفلسطيني، فقط، وهو هنا نهايات القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر بأكمله تقريبا، (١٦٨٩–١٧٧٥)، بل في بحثها الأعمق عن أسس تشكّل الهوية والذات الإنسانية في هذه المنطقة الممتدة ما بين بحرين: بحر الجليل (طبرية)، وبحر عكا.

ذروة ملحمية يرفع بها إبراهيم نصر الله مشروعه الروائي، ومشروع الملهاة الفلسطينية بشكل خاص، إلى موقع شاهق، وهو يكتب ملحمة ذلك القائد (ظاهر العُمَر الزّيداني) الذي ثار على الحكم التركي وسعيه لإقامة أول كيان سياسي وطني قومي حديث في فلسطين، وأول كيان قومي في الشرق العربي. هذا القائد الفريد الذي امتدت حدود (دولته) من فلسطين إلى كثير من المناطق خارجها.

تعبر هذه الرواية التاريخ وتضيئه على نحو باهر بشخصيات حقيقية وأخرى متخيّلة، متنقلة بين فلسطين وسوريا والأردن ومصر ولبنان وإسطنبول، عاجنة التاريخ بالقيم الكبرى وأسئلة الحب والموت والقدر والعلاقة مع الطبيعة في أعمق تجلياتها، ومتأملة التاريخ الروحي والميثولوجي لفلسطين، ومعيدة في آن الاعتبار لتاريخ نضالي وطني فلسطيني متألق، لقائد تاريخي فريد، في فهمه لقيم الكرامة والعدالة والتحرر والحق في الحياة، والتسامح الديني الذي يصل إلى درجة من الاتساع والنبالة حدّا غير مألوف.

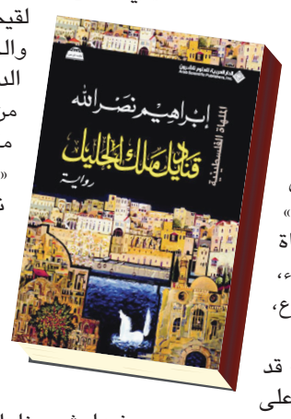

«قناديل ملك الجليل» ملحمة ناصعة ونادرة، تقدّم لنا صفحات غنية مجهولة، بفنية عالية، تعيد ترتيب التاريخ النضالي الوطني والإنساني، الفلسطيني والعربي، من جديد.

وفي الوقت الذي تعيش فيها شعوبنا العربية ربيع ثوراتها، تبدو شخصية ظاهر العُمَر من أكثر الشخصيات فرادة في سعيه لإقامة الدولة المستقلة التي تنهض على قيم التسامح واحترام كل أطياف المجتمع، وصون كرامة الإنسان ووضعها فوق كل اعتبار، وإلى ذلك رفضه للتوريث في ذلك الزمان.

يذكر أن توزيع الرواية سيبدأ بحفل التوقيع الذي تقيمه الدار العربية للعلوم مساء الثالث من شهر ديسمبر/كانون الأول القادم في جناحها بمعرض بيروت العربي الدولي الخامس والخمسين للكتاب، كما سيقام حفل توقيع آخر لها في عمان في منتصف الشهر ذاته.

صمم غلاف الرواية الفنان محمد نصرالله، أما لوحة الغلاف فهي للفنانة الفلسطينية تمام الأكحل.